اسماعيل كاداري.. وترجمة انكليزية لرواية «الوريث»:

عمل يحول القمع الى عصابة ورئيسها لعراب يعيش رهابه وتيرانا مدينة القتامة والالغاز

ابراهيم درويش*

■ الخليفة/ الوريث هي الرواية الثامنة التي تترجم للكاتب الالباني المقيم في فرنسا للانكليزية وقام بترجمتها ديفيد بيلوس. كاداريه معروف بتوثيقه للحياة الالبانية منذ بداية القرن الماضي، خاصة زمن الشيوعية التي اجترحها فيما بعد انور خوجة مبتعدا اكثر عن موسكو ومقتربا من الصين بزعامة ماوتسي تونغ، ومع ان الكتابة الابداعية التي انتعشت في ظل ما كان يعرف باسم الستار الحديدي، اما اختفت تماما او لان كتابها تحولوا عنها ليصبحوا مدافعين عن الوضع الجديد والدفاع عن النموذج الليبرالي الرأسمالي الذي اعلن انتصاره او بشر به فرانسيس فوكوياما في كتابه نهاية التاريخ والانسان الجديد، الكتاب الاعتذاري الذي كتب في ظل انهيار النموذج الشيوعي السابق، ولكن كاداري القاص الحريص على ابداعه الروائي يواصل تقاليده التي بدأها منذ فترة، ويعيد قراءة تاريخ بلاده وارثها من الخوف والتخلف عبر منظار جديد، ومع انه يدور في نفس الحقبة «الشيوعية» التي عاشتها البانيا في ظل انور خوجة الا انه يطور ادواته السردية، ويحول المنظور كله الى عالم بوليسي، ولغز مقتل الرجل الثاني في النظام، بحيث تتحول الرواية في اطارها الى عمل درامي مؤثر، يبرز في انور خوجة «المرشد/ هو نفسه في الراوية، الى «عراب» كبير يشبه كثيرا عراب ماريو بوزو في الرواية والفيلم الشهيرين، فهناك تمازج بين «المرشد» ودن كورلياني، خاصة في تجلياته الاخيرة قبل موته. يبدو انور خوجة، في ايامه الاخيرة ايضا، رجلا مسكونا بحس الخوف من المنافسين، وينشغل كثيرا بما يدور في شوارع العاصمة تيرانا وما يكتبه البوليس السري عن الشائعات، ففي ظل القمع، والاختفاء والسجون، والخنادق الكبيرة (900) التي بناها للاحتراس من الغزاة، يقوم بمراقبة اعضاء حزبه الطامحين لكي يتولوا المنصب من بعده. من المعروف ان البانيا كانت تحكم ولاكثر من اربعين عاما من خوجة وزوجته نجمة، وزيرة الثقافة التي استطاعت من خلال هذا المنصب السيطرة على البوليس السري (سوغيريمي).

والرواية قائمة على حادث انتحار/ اغتيال الرجل الثاني او «الوريث» محمد شيحو عام 1981، اي قبل وفاة خوجة باعوام، حيث ينتحر في بيته الجديد، الذي تسكنه اللعنة كما تشي الاسطورة الالبانية بذلك والمسكون بارواح الموتى. وهنا يوزع كاداريه، السرد على محاور متعددة، يحاول فيه المتهمون الافتراضيون، ابنة القتيل «الوريث»، والمعماري الذي باع نفسه وتدريبه للوريث، والذي يعترف بقتل الوريث انتقاما لكرامته، ووزير الداخلية ادريان هاسيبيو، الذي كان مسؤولا عن البوليس منذ عقود طويلة، سرد حكاياتهم مع «الوريث» او «المرشد».

كاداريه، قادر على بناء حس الترقب والتوتر في سرد سهل وجميل، يستعيد من داخله، تاريخ البانيا (بلد النسور)، عزلتها، خصوصيتها، اوروبيتها الضاربة في القدم، ومعتقداتها الدينية، فالالبان، يعودون في اصولهم الى العراق الارياني، والبانيا كفكرة ودولة يعبر عنها بالبانيا الداخل والبانيا الخارج، «كوسوفو» ويلخص تاريخها بايجاز، طبعا من خلال «الملفات»، وكاداريه في كل اعماله الروائية يحرص على تقديم صورة من الرهاب الذي يعيشه النظام ويفرضه على المواطن، ويتمثل في «التقارير»، فالتقارير مليئة بالشروحات عن طبيعة وانماط حياة الالبان، هل هم مسلمون ام مسيحيون، وهل عددهم مليون ام ستة ملايين، كما يقول تعليق على التقرير. ولكن البانيا الحديثة لم تبرز الا من خلال انهيار الدولة العثمانية او فترة تحللها، في عام 1912 عندما حكمها ملك اسمه زوغ، ومن ثم وقعت تحت الحكم الفاشيستي، موسوليني عام 1938 ونجح خوجة بعد خمس سنوات من تحريرها من قبضة الطليان، ويضعها اسر نموذجه الشيوعي الحريص على الستالينية، ولهذا عادى الاتحاد السوفييتي السابق بعد ان تهجم خروتشوف على الستالينية، وقطع علاقاته مع الصين الماوية، بعد ان اقام النظام الصيني علاقات مع يوغوسلافيا بزعامة تيتو. وتبدو البانيا، كبلد خيالي يشبه العوالم الخيالية في روايات الاطفال، تماما كما كانت البانيا تمثل نهاية العالم لدى بعض السكان في بلاد الشام، وعبر عنها المثل المعروف «علي شكودرا». بعد ربيع الديمقراطية الذي عاشته البانيا مثل غيرها من الدول التي نفضت ركام سنوات الشيوعية لا تزال البلاد تعيش تحت رحمة ذلك التاريخ الذي لم يبق منه الا بعض الخنادق الاسمنتية بعد ان تم تدمير التماثيل ورموز الاخوة الكبار الذين راقبوا الحياة وربضوا على انفاس السكان.

في ظل نظام خوجة انتج كاداريه معظم رواياته، ففي الوقت الذي يستعصي فيه وصف ديكتاتورية خوجة، لم يكن كاداريه عضوا في الحزب الشيوعي مع انه كان مديرا لمعهد ثقافي تديره زوجة خوجا، نجمة. اصدر كاداريه اول رواية له بعنوان «جنرال جيش الاموات»، والتي لم يذكر اسم الحزب فيها وتحكي قصة جنرال ايطالي يعود بعد نهاية الحرب ليدفن رفاقه الموتى، وتمثل الرواية رمزا عن الحياة في ظل الديكتاتور. كان خوجة في اواخر ايامه، يخشى على حكمه الطويل، مريض شبه اعمى من اثار مرض السكري، وكان وريثه وخلفه محمد شيحو على حافة تسلم الحكم لولا موته الذي لا زال لغزا الى اليوم، هل قتل ام انتحر ـ وبعد موته اعلن النظام حربه على عائلة شيحو، حيث تم تعذيبها بل ابادتها في محاكم الحزب او الثأر.

يستخدم كاداريه عددا من شهادات شهود عيان على الحقبة خاصة ابن شيحو، باشكيم، والملفات الاخرى التي توفرت من التحقيقات السرية، ويعيد كادريه اعادة خلق الجو العام، الخانق والمرعب في فصل شتائي في تيرانا، خاصة في ليلة 13 كانون الاول (ديسمبر).

حكاية مقتل الوريث، تربط حلقات السرد في الرواية، وبتطور الاحداث يظهر ان مسؤولا كبيرا في الحزب الحاكم مر قرب بيت الوريث ليلة انتحاره او مقتله. مثلما يثير شكنا الباب في بيت الوريث الجديد، ويحاول المعماري الذي اعاد تصميم البيت بانه القاتل، وفي مرة اخرى يلمح كاداريه الى ان القاتل هو ابنته. وهنا يستخدم الكاتب الكثير من الرموز الشعبية، عن فكرة الانتقام والثأر المعروفة في المجتمع الالباني (القانون)، والذي لا يعتبر غريبا على تصرفات خوجة.

كاداريه يمزج بين السياسة او بيروقراطية النظام الحاكم، والحكمة القديمة في البانيا، مع حس الاثارة البوليسية، ويستعيد زمان الخوف والتشتت، وكيف تتم التضحية بالقبيلة، والابن والبنت من اجل الحزب الذي يمثله الان خوجة، نشعر في البداية ان البنت مطالبة بالتضحية بمشاعرها وعلاقة الحب التي اقامتها بمعرفة من الام مع شاب شيوعي ويعمل في الاذاعة للتخلي عنها مقابل زواج مرتب، يحمي الاب ومنصبه، وتشعر الفتاة بالتوزع هنا بين حبها وبين سلطة الاب الذي لم يكن مستعدا لتقبل فكرة الحب التي تتعارض مع طموحاته، كما ان الابن والبنت يشعران انهما نتاج علاقة تمت بين والديهما جاءت على حساب الولاء للحزب وليس الاسرة.

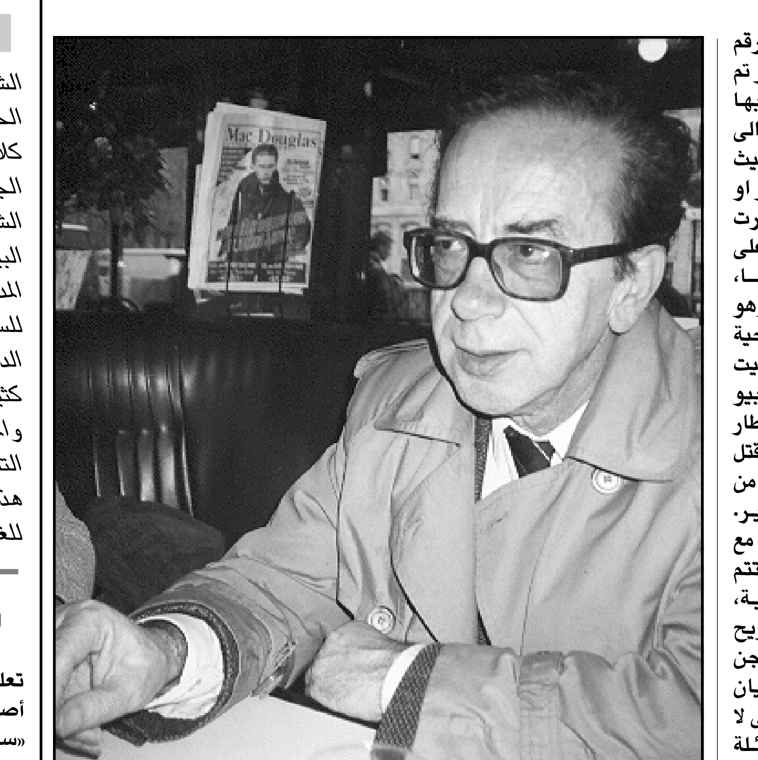

اسماعيل كاداريه (القدس العربي)

تحوم الرواية حول مصير الرقم اثنين، القتل او الانتحار او انتحار تم بمساعدة داخلية ـ عملية قامت بها المخابرات السرية. يعمد كاداريه الى اكثر من استراتيجية في السرد حيث يحاول تقديم حكاية الانتحار او الاغتيال عبر ابنة الوريث التي اضطرت للتضحية بحبها وحياتها الخاصة على مذبح رغبات والدها ووالدتها، ويستدعي الكاتب محورا اخر، وهو المعماري الذي قام هو الاخر بالتضحية بخبرته المعمارية من اجل تعمير بيت الرجل رقم 2، ووزير الداخلية هاسيبيو الذي يقع في المرتبة رقم 3 في الاطار التنظيمي للدولة والمتهم هو الاخر بمقتل او اغتيال الرجل الثاني، ويخشى من نفس المصير الذي وصل اليه الاخير. مصائر الكبار المتعاونين او العاملين مع النظام الاوحد معروفة، فالنهاية تتم بطريقة ملغزة، وفي اجواء قوطية، برصاصة وحيدة لا ينفع فيها التشريح للبحث عن اسباب الموت او بالسجن الذي ينهي حياة الرجل رقم 3 ادريان هاسبيو، الذي يقطع لسانه حتى لا يكشف اسرار المرشد، اما العائلة فتحاكم في العلن ويكشف عن اسرارها ويتم قولبة وتزوير الحقائق لخدمة اغراض النظام. ولكن كاداري، يتحكم في السرد، وهو ان قدم الكثير من المفاصل لفك اللغز، يبقي على زخم الاسئلة، فنهاية الاب، الوريث، قد تكون لان ابنته اقامت علاقة مع برجوازي، وقصة الباب الذي لا يعرف سره في البيت الجديد، الا عدد من الاشخاص منهم المعماري فيها اضاءة ايضا عن تورط المرشد، والبوليس السري، ووزير الداخلية الذي يطلب منه المرشد بلغة غامضة للذهاب الى بيت الوريث ليلة الحادث، وكعادة كاداريه الذي يحب وصف الخريف والشتاء، والسقوط يرسم صورة قاتمة عن تيرانا التي تؤكد جو العزلة والخوف والرهاب، وفي جلسات الاعتراف والحزب، يعرف المجتمعون بالقادم ليس من رائحة الثياب ولكن العرق المنداح من الاجساد. وحتى الوريث ومصيره يتراوح بين العفو والموت كـ «شهيد» و «خائن» وهي معادلة معروفة في ظل انظمة القمع، فالشهيد يتحول لخائن

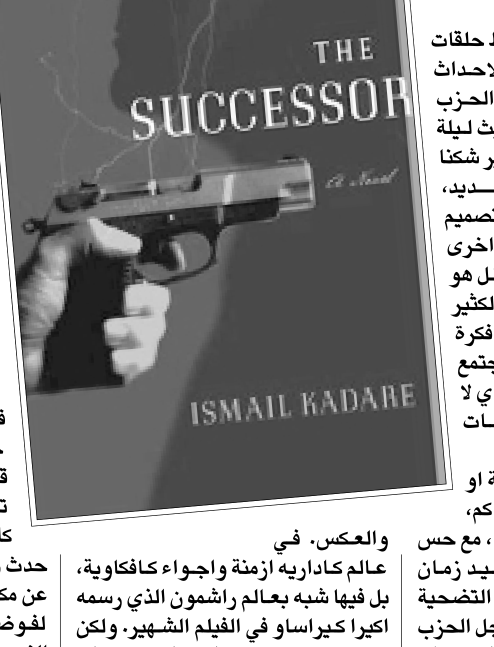

والعكس. في عالم كاداريه ازمنة واجواء كافكاوية، بل فيها شبه بعالم راشمون الذي رسمه اكيرا كيراساو في الفيلم الشهير. ولكن ما يجعل كاداريه متفردا في توصيفه للحالة الالبانية انه كان قادرا على الامساك بالواقع واللحظة في زمن لاواقعي لا انساني يتسيده القمع والخوف. تيرانا، مدينة اشباح سكانها يعيشون على الشائعات ويحتفل المرشد بتقارير الحرس السري عن حركاتهم وسكناتهم، فالكل يعرف ان مصيره سينتهي للتجميد والتصفية، الطبيب الشرعي يعرف مصيره، وكذلك المعماري التي تصر زوجته على اغلاق اذنيها عن اعترافاته، وفي داخل هذا الجو، يتم قمع الانسان والارادة، فكل شيء يفسر ضمن اطار العنف والقمع، الحب، والعلاقات الجسدية تتحول الى معادلات للسياسة. وفي مساءلة المعماري الذي اوكلت اليه مهمة اعادة تصميم البيت الكثير مما يقال او يريد ان يقوله كاداريه عن مصير الابداع في ظل القمع، فالجمال الحقيقي لا معنى، والجمال الحقيقي هو بوابة للقتل والاغتيال، وكلما اراد المعماري اطلاق الشيطان في داخله وحرق المعبد على اهله، كلما تأكدت وجودية الجمال والذي سيقود في النهاية للموت، والاغتيال، وهجر البيت. ويتساءل المعماري اكثر عن فكرة الابداع، وفي الغالب يفض همومه مع زوجته في عزلتهما الليلية التي تحاول دائما اعادة الثقة له، وانه يجب ان لا يكون مثلهم.

في نهاية الفصل الاخير من الرواية، يعود «الوريث» من القبر، شارحا رحلته منذ الموت، مع التشريع، ونبش قبره، وتحلل جثته، وعلاقته مع «المرشد» الذي كان يجمعهما الحب والبغض، الولاء والخيانة، والصفاء والتلون. فهو يعذر المرشد على كل ما قام به، لانه لم يكن سوى نسخة طبق الاصل عنه، ولو قدر له واستلم السلطة لتصرف مثلما تصرف المرشد، فالاخير كان يخشى اكثر ما يخشاه هو الاخلاص والصدق، وعندما يتعلق الامر بهذا المفهوم كان الشخص يكتب شهادة وفاته بنفسه. وعندما يعود «الوريث» الى ما آل اليه الوضع في البانيا وميراث خوجة، لا يشعر بالحسرة او الندم بل ولا الحزن، فهو يعتقد ان تصرفاته لم تكن الا جزءا من فوضوية هذا العالم، وما قام به مع مرشده كان فعلا قدريا لا تنفع معه الصلوات او الشموع. كاداريه، يريد من قارئه ان يفهم ما حدث ولكنه لا يريده مواصلة التساؤل عن مكمن الخطأ، فابطاله كانوا نتاجا لفوضى العالم، لا يعرفون الصلاة ولا الندم. في تداعيات الميت من قبره، وان اشار الى ان القاتل ربما كانت زوجته، التي انتظر ان تقدم له فنجانا من شراب البابونج، وبدلا من ذلك اقتربت منه بفوهة جهاز اسود مع حارسه الذي عاش معه طوال العقود الماضية، واطلقت عليه الرصاص، الذي كان رصاص رحمة، انهى معاناته الطويلة... وهو هنا في مساره الابدي لا يريد لنا العودة الى ما كان عليه والمرشد، لان عودته تعني الكارثة وسوء الحظ والنكسات. تكمن قوة رواية كاداريه، في كونها تستعيد اشباح الماضي، فهي تتحدث عن ظل القمع وهواجسه، ولانها كذلك، فقد نجحت باعادة تشكيل مشهدا عن عبثية القتل والاغتيال، ورهابية القتلة.. هي رواية رموز، تلعب على حس الخوف، تماما مثلما فعل في روايته الاخرى «قصر الاحلام»، وهذا ما يجعل كاداريه قاصا آنيا، معاصرا رغم انتفاء الحقبة التي يكتب عنها من ناحية تاريخية، كما ان خصوصية التجربة الالبانية، في تقاليدها غير المكتوبة عن الثأر والانتقام تعطي لفترة حكم انور خوجة بعدها المتجذر، عن ديمومة الانتقام باعتباره نظاما اجتماعيا وطقسيا.

ولد كاداريه عام 1936 في جنوب البانيا، كان والده يعمل في سلك الخدمة المدنية، ونشأ الطفل في ظل الحرب العالمية الثانية، ودرس الفلسفة والتاريخ في جامعة تيرانا، كما تلقى دروسا في معهد غوركي في موسكو. وبعد عام 1961 عندما انعزلت البانيا عن فضائها الشيوعي، السوفييتي والصيني، ولد جيل من الكتاب، وبدأ كاداريه حياته الابداعية كشاعر، حيث ظل يتحرك بحذر في ظل الوضع الخانق، وكان عضوا في مجلس الشعب في عام 1970 حيث كان بامكانه السفر ونشر اعماله في الخارج، وفي عام 1971 اصدر روايته «تاريخ الحجر»، وقبلها نشر رواية «القلعة» (1970)، و «الشتاء العظيم» (1975). وفي عام 1982 «قصر الاحلام»، «الكونسيرت» (1988). ومن اعماله الاخرى «الملف عن هـ»، «الهرم»، «مرثيو لكوسوفو» «ربيع الازهار، ربيع الغابات»، «جسر الاقواس الثلاثة».

علاقة كاداريه بالنظام السابق تظل محلا للكثير من الجدل والاخذ والرد وهو، خاصة انه كتب معظم انتاجه الروائي في ظل ولم يخرج الا في بداية التسعينات من بلده، حيث يتنقل الان بين باريس وتيرانا.

في العام الماضي، 2005، فاز كاداريه بجائزة «بوكر» الدولية، وهي ارفع جائزة ادبية بريطانية، وتنافست اسماء معروفة على الجائزة البريطانية المعروفة، مثل نجيب محفوظ وغونتر غراس، وغابرييل غارسيا ماركيز، كينبارو اوي، ودوريس ليسينغ، وماغريت اتوود.

* ناقد من اسرة «القدس العربي»

The Successor
Ismail Kadare
Translated from the French of Tedi Papavrmi
by David Bellos
Canongate
Edinburgh, New York, Mellbourne/ 2006

الشاعر السوداني محمد الواثق:

افتعال المعركة بين القديم والجديد استعاضة عن أفول الشعر العبقري!

الخرطوم ـ «القدس العربي» ـ من آدم عبد الله:

الشاعر محمد الواثق أستاذ الأدب العربي بجامعة الخرطوم شاعر مميز وصاحب موقف فكري يدعم كلاسيكية الأدب العربي التي تمثل النموذج القيمي الجمالي والفكري وهو لا يذهب مع المحدثين حتى نهاية الشوط حفاظاً على الفصاحة العربية في قدراتها البيانية والبلاغية، ولهذا يتجه بعض شعره إلى هجاء المدن العربية الحديثة كما فعل مع العاصمة الوطنية للسودان (أم درمان) ومع كثيرات غيرها..

الدكتور محمد الواثق هو امتداد لشعراء عروبيين كثيرين في الوطن العربي كالجواهري في العراق والمجذوب في السودان والبردوني في اليمن.

التقت القدس العربي بالواثق في الخرطوم وأجرت معه هذا الحوار وهو الآن مدير معهد الدكتور عبد الله الطيب للغة العربية.

■ محمد الواثق والبدايات الأولى ذات الأثر؟

■ **والدي رحمة الله عليه كان من طبقة (الأفندية) الذين تعلموا السلسلة في «غردون» ثم عملوا في البريد. طفت معه أصقاعاً مختلفة في السودان. تعرفت على المدرسة في مدينة «سنكات» واكتسبت شيئاً من لغة الهدندوة نسيته لاحقاً، لكن ما زالت عالقة بالذهن صورة «أوشيك» والذي يظهر في قصيدتي (كسلا)**

«أوشيك أشعث مغبر له ودك».

وما كان مقر الست مريم بعيداً عن سكننا. انتقلت ثانية لأم درمان وقطعت شطراً كبيراً من التعليم الأولي في مدرسة بيت المال الأولية. وكنت هناك حين اجتاح فيضان 1946م أجزاء من أم درمان وكاد يهلك توتي .. كل هذا سيظهر مؤخراً في ديوان «أم درمان تحتضر» حين ينعتق النيل كي يطهر الأرض من دنس حل بها .

تلاطم النيل مدفوعاً بغضبته
وجاش مواره في الأرض بالزبد
وطهر الأرض من أدران رجسهم
وأعلن الطهر صوت الطائر الغرد

أما توتي:

النيل يسعى لأمر سوف يدركه
لا حاجز سيصد النيل توتي

لا بد أن كل هذا قد انخزن في لاوعي الطفولة ثم استجاش شعراً في مرحلة النضج ثم كان الانتقال مرة أخرى الى وادي حلفا «القديمة» حيث أكملت الأولية وجزءاً من المدرسة الوسطى. الناس هذه المرة أغرقوا النيل بوادي حلفا كي يدمرها فتختفي معالمها ويتبعثر أهلها. قصيدة «وادي حلفا» من أواخر قصائدي:

لو كان فيك رجال كنت أعرفهم
لما مكثت بقاع النيل يا حلفا

رجعنا مرة أخرى للخرطوم بحري، فمدرسة وادي سدنا الثانوية، فجامعة كمبردج فجامعة الخرطوم مقراً.

كان هذا تتخلله قرية في (النية) بل تكون وشيجة العصب الذي يربط بينه. دمر فيضان 1946م النية أيضاً فدمر معها ملاعب الطفولة وما كان مسترفد الخيال. ترحلت النية الى مقرها الجديد حيث الكهرباء والطريق المسفلت ومياه المواسير .. لكن اختفى طائر الجنة الذي كان يحل في الخريف ثم هرب الظبي والارنب وسائر الحيوان الوحشي. أفدح من ذلك ان قد اجتث شجر الأراك الزاكي لتحل محله الزراعة الحديثة تلك التي أزاحت الساقية أيضاً ومعها غناء «الأراتي».

× إحك لنا قصة احتضار المدن السودانية في قصيدتك ؟

شعري الذي ضاعت كراسته شمل أيضاً الإسكندرية وأسمرا وإن كانت الأخيرتان قد اختلف سنخهما الشعري .. يتسق شعري هنا التراث العربي ـ الاسلامي ـ التوراتي أيضاً يتعلق الأمر بالمدينة التي فسدت. بعد مهلة إنذارها تجتاحها الأعاصير التي تتواصل أياماً حسوماً فلا ترى لها من باقية. قلبت مدينة صالح أعاليها أسافلها. وقد ترسل الطير تحمل حجارة السجيل كما حدث في امر جيش أبرهة ومكة، ثم أضف إلى هذا قوم عاد وثمود وأصحاب الرس. الأمر لايختلف كثيراً في الإرث التوراتي هناك «سدوم» في مفاسدها فاجتاحتها البراكين والزلازل بل مسخ أهلها. وما زلت أتذكر ما حل حديثاً بمدينة «الأصنام» في الجزائر. في هذا الإرث الإسلامي التوراتي تكون البراكين والأعاصير عنصر تطهير تستأنف الحياة بعده على نمط الطهارة المرجوة وإلا عاودت الأعاصير فعلها.

لست بناقد لشعري ولكن من يتأمله يجد فيه غيط الرياح والبراكين. في قصيدة «ثعابين أم درمان»

ياريح عاد تحري اين موقعها
وفجري فوقها غيظ البراكين

في قصيدة «أم درمان تتزوج» ينفلت النيل :

يفتت الصخر جلموداً ويقذفه
فيهدم الدور هدماً غير متصد

وفي قصيدة «أم درمان والانهزام» تجتاح المدينة الطير الابابيل :

طير أبابيل في منقارها فلق
من الحجارة فيها النار تضطرم

هناك كثير من مظاهر دمار المدن التي فسدت، وعندما يحدث التطهير يحلق الطائر الميمون الذي يعلن الطهر «أم درمان تتزوج»:

فطهر الارض من أدران رجسهم
وأعلن الطهر صوت الطائر الغرد

مثل هذا الشعر سلك في عمق التراث العربي ـ التوراتي واتخذ رمزه منه.

× مارأيك في القصيدة الثورية، هل زمانها ولى؟

الخليل لم يعد ان قنن ما وجد في الموروث الشعري فهو لم يخترع الشعر وان كان قد وضع له اطاراً هو الدائرة التي هي طريقة حصر لما يمكن ان يكون نغماً شعرياً فحصر بذلك كل شعر العرب .. أدخلت الدائرة ما أسماه مهملاً لم تنظم العرب وحاول بعضهم النظم فيه فيكون الخليل قد فتح باباً جديداً لتنويع النغم .. ظهرت بعد الخليل أنماط نغم مثل المسمط الدوبيتي الموشح وهي «موضات» شعر صاحبت الوزن العربي الرئيسي منذ أن كان وما أن تستنفد الموضة نفسها يرجع الناس الى الشعر الرئيسي ريثما تظهر الموضة الجديدة الي ان بلغنا موضة شعر التفعيلة، والقصيدة الحرة، والنثرية. بيد أن المتابع لكل هذا يرى ان ما قصد منه حرية الشعر انحصر في أنغام محدودة قليلة «سبع تفاعيل» فضيقوا النغم من حيث أرادوا توسعته وحريته.

الموضة الشعرية التي لم تقدم عبقرية جديدة تضاف للمتنبي أو شكسبير، فيفتعل لها مواجهة مع القديم وان سدنة القديم هؤلاء يحاولون دون توطيد المذهب الجديد.

الان اصحاب القصيدة النثرية يتهمون أنصار شعر التفعيلة أنهم يحاولون دون الجديد وهو الشعر المنفلت على أصحاب التفعيلة، والامر في كل هذا أفول الشعر العبقري والاستعاضة عن ذلك بافتعال معركة بين القديم والجديد والجديد والاجد.

■ لماذا لم يشارك محمد الواثق في مهرجان الخرطوم عاصمة للثقافة العربية؟

■ **استبشرنا خيراً أن تصير الخرطوم عاصمة للثقافة طيلة عام 2005م وان ينجز في هذا العام إنشاء بعض البنى الاساسية التي لا تقوم الثقافة بغيرها. كنا نأمل قيام مكتبة السودان الجامعة وأن تكون مركزاً في أجنحته المسرح الحديث ودار الموسيقى ثم المعرض الدائم للكتب الذي إبداع الشباب من أهم معالمه بعد ان تطبع مؤلفاتهم. وكان لا بأس ان يصاحب قيام البنى التحتية المحاضرات ثم العروض المختلفة من تشكيل وسينما ومسرح شريطة أن يقوم بكل هذا أهل الاختصاص.**

حدث ما كنا نحاذر منه .. ان تصير الخرطوم عام 2005 عاصمة ثقافية عامة «لطق الحنك» وان تدعى الوفود الأجنبية باهظة تكاليف الاقامة والسفر لطق الحنك .. تهدر بذلك ميزانيات انشاء البنى الاساسية للثقافة.

كنا أعددنا في جامعة الخرطوم برنامجاً ضخماً لمواكبة الحدث وعرضناه عليهم .. وجدنا الاعراض والفتور .. انسلخنا كما انسلخ غيرنا عن (البرنامج القومي)؟ وقدمنا وما زلنا نقدم الثقافة المحضة التي ليس فيها الفنادق الفخمة ولا العشاء الفاخر .. وتكلفت جامعة الخرطوم بتغطية المصاريف لهذا البرنامج الذي تقدمه الكليات والمعاهد بل نطمع ان يستمر هذا البرنامج بعد عام 2005م فتصير جامعة الخرطوم عاصمة للثقافة كما هو مرجو منها.

ساءني جداً ان المبدعين من الشباب خرجوا صفر اليدين من «الخرطوم» عاصمة للثقافة العربية.. حتى الكتب اعلنوا عن طباعتها لم نجدها في الاسواق كم من الشباب طبعت اعمالهم ضمن هذه الكتب الخفية، أم أن المر لا يعدو ان يكون عام 2005م هو عام طق الحنك؟.

■ **لمن يسمع الواثق من الاصوات الغنائية وهل للفن نصيب عنده؟**

كنت قننت أوزان الدوبيت السوداني في بحث نشر في مجلة مجمع اللغة العربية حياة استاذي عبد الله الطيب وكان ذلك قبل ان صرت عميداً لمعهد الموسيقي والمسرح. أوزان الدوبيت هذه جذبتني الى «الجابودي وهو من الاصوات التي يحسنها انسان البطانة بمثل ما جذبتني نساء الجعليين. جاهدت ان يغير مسمى معهد الموسيقي والمسرح الى الموسيقى والدراما، وسرني ان تحقق هذا اخيراً عندما تحول المعهد الى كلية من كليات جامعة السودان. ما زلت آمل ان يحقق مسعاي الآخر وهو ان تصير كلمة الموسيقى مرادفة للغناء كما يحدث الان ان زملائي واصدقائي بالمعهد قمينون بأن يرجعوا الموسيقى الى فن يطلب في حد ذاته وليس بالضرورة مطية للغناء. توفي الصديق حسن عطية اثناء غيابي عن السودان فلم أملك عند عوتي الا ان اعقب على كتابة «ذكريات حسن عطية» في مقالتين وما زلت آمل ان استكمل بقية المقاولات وقد كان اقرب لاستيعابه لروح الفن.

■ لمن تقرأ للشعراء العرب ؟

■ **لا أكاد أعرف شاعراً اشتهر بشيء لم اتوقف عنده في اللغة العربية او في اللغات التي اعرفها. لفت نظري منذ فترة مبكرة شعراء أمثال زياد بن حمل (لا حبذا انت يا صنعاء من بلد) والقطامي «إنا محيوك فاسلم ايها الطلل» ولا بد ان زهيراً استغرق جل وقتي «بان الخليط ولم يأووا لمن تركوا» أركز الان على اشعار استاذي عبد الله الطيب ـ رحمه الله ـ قراءة اعادة ترتيب لها.**

■ قصيدة تكتمل بعد دواخل محمد الواثق؟

■ **ما اكثر وهو يجعلني مقلاً بين الشعراء. بدأت قصيدة :**

لو قلت أمرك يا أم درمان مفضوح
بكت كما تبكي التماسيح

وقفت فيها سنين عديدة ولم تكتمل ثم تركتها ووهبتها لشاعرة سودانية نابهة ـ آية أسامة وهبي ـ فأكملتها في وقت وجيز مع الاتفاق .. الآن تدندن قصيدة «الريح العقيم»:

خانك الغمض والفراش
ترقب النجم هل عشقت الثريا
لا أدري متي سأفرغ منها.

إصدارات جديدة

مرايا التذوق الأدبي: دراسات وشهادات

عمان ـ «القدس العربي»:

عن دارة الفنون «مؤسسة خالد شومان» في عمان بالتعاون مع المؤسسة العربية للدراسات والنشر في عمان وبيروت، صدر كتاب «مرايا التذوق الأدبي: دراسات وشهادات» ضم حصيلة الشهادات والمحاضرات التي استضافتها دارة الفنون خلال الفترة الماضية. يقول الشاعر والروائي إبراهيم نصرالله في مقدمته لهذا الكتاب «.. جاء محور «مرايا التذوق الأدبي» ليدفع فكرة تأمل الأعمال الإبداعية من داخلها استكمالا لما بدأته دارة الفنون، من أجل تقديم نماذج نقدية جمالية تتأمل عددا من الأعمال الأدبية من منظور يتجاوز المهمة التقليدية للنقد، وقد ساهم في هذا المحور عدد من النقاد والمبدعين الذين تشكل تجاربهم جزءا أصيلا من حركة النقد وحركة الإبداع في العالم العربي عبر مساهماتهم المتتالية على مدى عقود وعقود. لقد ترك المجال واسعا لكل ناقد لكي يتأمل الأعمال الأدبية التي يريد، ولا شك أن العلاقة الروحية التي تربط بين الناقد والنص الذي اختاره جزء أساس من إعطاء مزيد من الحرية لفتح أبواب النصوص وتأملها من داخلها برحابة وحب، وإلى ذلك تم تنظيم أربعة محاور حول إنجازات كل من المفكر إدوارد سعيد، والشاعر فواز عيد، والشاعر علي فودة، وآخر حول صورة عمان بين الرواية والوثيقة التاريخية. أما هذه الشهادات فهي: إدوارد سعيد: النظرية والوعي النقدي «فخري صالح»، خارج المكان: سيرة التحرر من المنفى «د. خليل الشيخ»، الثقافة والإمبريالية تتخطى الثقافة والمجتمع «د. محمد شاهين»، الكتابة عن فواز عيد استعادة لأزمنة وأمكنة وصداقات «رشاد أبوشاور»، فواز عيد تغلب على المعاناة بالشعر «د. إبراهيم خليل»، علي فودة: ملامح التجربة الشعرية «د. محمد عبيد الله»، عمان بين الرواية والوثيقة «محمد رفيع»، دفاتر الطوفان شهادة المحو والتدوير «سميحة خريس»، الدامر: شهادة في رواية الشهبندر «هاشم غرايبة»، مسارات النصوص، مسارات القراءة، مداخل في قراءة النص الشعري «د. زياد الزعبي»، دهشة التفاصيل الصغيرة ـ دراسة في بنية القصة القصيرة «عبدالله رضوان»، مذهب الصورية في الشعر «قصيدة الأرض اليباب مثالا» د. عبد الواحد لؤلؤة، طريق الشعر والسفر «أمجد ناصر»، اللغة الناقصة «عباس بيضون»، تجربتي القصصية «فخري قعوار».

راهب الصمم.. ورومانسية رواية اللامكان واللازمان

بيروت ـ من جورج جحا:

قارىء كتاب حسين ابراهيم جرجي زريق «بحثا عن اورور» الذي وصف بأنه رواية قد يجد نفسه في عالم غريب من حيث المحتوى ومن حيث فهمه المألوف للعمل الروائي فهو هنا في عالم رومانسي خالص وامام افكار فلسفية وحالات صوفية وروحانية غريبة. ومما تتسم به هذه الرواية من الناحية الفنية انها تكاد تكون دون مكان او زمان محددين وذلك في ما بدا سعيا من الكاتب الى جعلها ذات اطار انساني عام. وهذه اللعبة الفنية خطرة لان المألوف في ما يسمى انسانيا في العمل الروائي هو الانطلاق من ازمنة وامكنة محددة سواء في الذهن او في الواقع.. لا العكس. المنهج الاول اي الرواية التي تبتعد عن ان يكون لها مكان وزمان محددان ولو كانا من صنع الخيال قد تواجه خطر الخروج من دائرة العمل السردي الفني الناجح لتقع في عالم العمل الفكري الذي يتخذ من الشكل الروائي مركبة تكاد لا تحمل سوى افكار الكاتب بوضوح وبشيء من «الوعظية» احيانا. ومع ذلك وعلى رغم بعض «بواكير» الملل التي تسببها الافكار الواضحة والمستعادة فقد استطاع الكاتب اجمالا ان يعبر هذه المنطقة الخطرة بقدر من النجاح بسبب روح ولغة شعريتين اكيدتين استطاع مترجم الرواية خليل احمد خليل ان يحافظ عليهما بعربية دافئة ملونة. اسم المؤلف حسين ابراهيم جرجي زريق يثير تساؤلا لم تكلف دار النشر وهي دار «الفارابي» في بيروت نفسها عناء تعريف القارىء بالكاتب بقدر كاف واقتصرت على كلام لا يزيل الالتباس اذ حمل الغلاف هذه الكلمات «ولد في ساحل العاج. دكتور في الطب وجراح. روايته الاولى «وردة الرياح» نالت جائزة برنارد داريه الادبية الكبرى عام 2002 لمناسبة سيلا... صدرت بالعربية عام 2003».

ويبدو للقارىء ان المؤلف الذي يكتب بالفرنسية ربما كان ابن مهاجرين عرب او لبنانيين تحديدا من هؤلاء الذين يسعون الى تجاوز الحدود الطائفية للاسماء على غرار ما فعل الناقد اللبناني الشهير مارون عبود او ابو محمد اذ اطلق اسم الرسول العربي على ابنه الاكبر. اما الاسم بالفرنسية فقد ورد بشكل اخر هو جورج اي. زريق. وقد جاءت الرواية في 154 صفحة متوسطة القطع. هذه الرواية تدخل القارىء عبر «عالم حديث» الى عالم قديم متجدد باستمرار.. الى عالم الرومانتيكية والبهجة الصوفية والى تخطي العالم اليومي. اما مدخلها الحديث فهو عالم «الانترنت» الذي يأخذك الى عزلة تمتصك من جهة لكنه من جهة اخرى ينقلك الى عوالم تكاد تكون دون نهاية. اسم الرواية هو «بحثا عن اورور//. وأورور هي الحبيبة التي تخلت واختفت متخلية عمن احبها لانها كالحياة لا يمكن ان تسجن في قمقم ولو كان اسمه هو الحب. ومن هنا تبدأ معاناة من احبها. واذا تذكرنا ان كلمة اورور الفرنسية تعني «الفجر» يصبح العنوان «بحثا عن فجر» وهو يعبر بكثير من الوضوح عن المشكلة والمعاناة. حمل الغلاف اختصارا لصلب موضوع الرواية هو «في حوار بالمصادفة على الانترنت تكتشف «اكسيل» شخصا غريبا.. جوناثان. اجتذبها عالمه الغامض فراحت تبحث عن معرفته على نحو اعمق ولاحظت ان عالم جوناثان مقام كليا حول ولعه الجنوني بأورور /فجر/.. بادىء الامر كانت اكسيل منزعجة لكنها سرعان ما وجدت نفسها منجذبة الى جوناثان حتى صارت اسيرة عالمه. فسعت على امتداد هذه الرواية المترعة بالمفاجات الى الكشف عن سره». الرواية توزعت على عشرين فصلا. الصفحة الاولى حملت كلمات لجبران خليل جبران «واذا خاطبتكم المحبة فصدقوها. وان عطل صوتها احلامكم وبددها كما تجعل الرياح الشمالية البستان قاعا صفصفا». ويبدو ان القارىء لم يكن يحتاج الى هذا التقديم الواضح ليلمس الاثر الجبراني تصورات وافكارا وصورا وحتى لغة. انه حاضر في طريقة انسياب اللغة الملونة الموسقة وتقطيعها —وان مترجمة— وحاضر في الافكار و//التعالي» والايمان بالتحول وبأن الموت والتغير ظاهريان فحسب.. وفي ما يختصره عنوان جبراني هو قصته «رماد الاجيال والنار الخالدة//. بطلةالرواية تبدأ بشكل يشرح الكثير عن ايمانها السابق بالفردوس الارضي وحده فتقول «كان يتراءى لي في تلك الازمان ان الايمان بوجود فردوس خارج الارض هو اكبر نكسة في حياتنا. ففي سنوات شبابي لم اكن اعرف سوى عدن واحدة.. عدن بقعتي الارضية... كنت على يقين من تحقيق ذاتي في تلك العشيرة».

تضيف عن جوناثان الذي يحمل اسم احد طيور النورس فتقول انها التقته «على «الوب» في دردشة غير مقصودة من ندوات النقاش... على الانترنت... انه مخلوق موسوس مكتئب كان مجازفا ولكنه ينم عن روح حساسة ومعذبة». تقول له «والحال.. عما تبحث.». فيجيبها « بلوغ الدوار... سبر اغوار المجهول الذي تخفيه شاشتي». (رويترز)